شعره

فصل فى المكرر فى معانيه .

« « سرقاته .

« « مآخذ الشعراء من شعره .

« « مقارنة بعض معانيه بمعانى غيره .

obeikandl.com

obeikandl.com

فصل فى المكرر فى معانيه

تكرير المعانى وقع لكثير من الشعراء ، ولم نر أحداً عابهم به ، إلا إذا كان المعنى فى نفسه ساقطاً مرذولا ، يؤاخذ الشاعر عليه ، فتكون مؤاخذته على تكريره وترديده أولى . ومن الشعراء من يكرر الألفاظ فيعمد إلى بيت أو شطر بيت سبق له ، فيعيده فى قصيدة أخرى ؛ إما بتغيير قافية ، أو بجعل الصدر عجزاً ، أو بالعكس . وهذا النوع يسميه أصحاب البديع بالتفصيل ، فإذا كان مأخوذاً من شعر الغير سمّوه : إيداعاً ، أو تضميناً ، على اختلاف بينهم فيه . ولم نقصد هنا التكلم عليه ، بل اقتصرنا على ما كرره أبو العلاء من معانيه .

فمنها قوله فى تشبيه مسامير حلق الدروع بعيون الجراد :

سليميّةٌ من كلّ قَتْرٍ يحوطها ... قَتِيرٌ نبتْ عنه الغوانى العوانس

تُخَيِّلُ أبصارَ الدَّبَى فمسهدٌ ... ومُغْفٍ وشىء بين ذينك ناعِسُ

كرره فقال :

كأن الدَّبى غرقى بها غير أعين ... إذا رُدَّ فيها ناظر يستبينها

وكرره فقال :

كأثواب الأراقم مزّقتْها ... فخاطتها بأعينها الجرادُ

وكررهُ أيضاً فقال :

بدلاص كأنهـــا ... بعض ماء الثماد

حُلّة الأيم خُيّطت ... بعيون الجـــراد

وكرره فقال :

أتأكل درعى أنْ حسبت قتيرها وقد أجدبت قيس عيونَ جراد

* * *

وقوله فى تشبيه الدرع بالمبرد :

وما بُرْدَةٌ فى طيها مثل مبرد بعاجزة عن ضم شخص وأوصال

كرره فقال :

مُضَاعَةٌ فى نشرها نِهْىُ مُبْرِدٍ ولكنها فى الطىِّ تُحسَب مِبْرَدَا

* * *

وقوله :

ذكى القلب يخضبها نجيعاً بما جعل الحرير لها جِلالا

كرره وبالغ فيه فقال :

غذاهنّ محرّ النجيع قوارحًا كما كُنَّ يُغْذَيْنَ الضريبَ مِهَارَا

* * *

وقوله فى تشبيه فرند السيف بآثار دبيب النمل :

ودبت فوقه حمر المنايا ولكن بعد ما مُسخت نمالا

كرره فقال :

كأن المنايا جيش ذرّ عرمرم تخذن إلى الأرواح فيه مسارا

وكرره أيضاً فقال :

ما كنت أحسب جفناً قبل مسكنه فى الجفن يطوى على نار ولا نهر

ولا ظننت صغار النمل يمكنها مشيٌ على اللُّجّ أو سَعْيٌ على الشُّعُر (١)

* * *

وقوله فى تشبيه طحلب الماء باللثام :

وملتثم بالغَلْفَق الجَعْد عرّست عليه فلم تكشف خفيّ لثامه

وكرره فقال :

وكم أوردتها عِدًّا قديما يلوح عليه من خَزٍّ خِمارُ

* * *

وقوله :

فالنفس تبغى الحياة جاهدة وفى يمين المليك مِقْوَدُهَا

فلا اقتحام الشجاع مُهلِكها ولا توقى الجبان مُخْلِدُها

كرره فقال :

فكن فى كل نائبة جريئا تُصِبْ فى الرأى إن خَطِئَ الهِدَانُ (٢)

وسائل من تنطّس فى التوقى لأية علة مات الجبان

* * *

وقوله :

تمتع أبكار الزمان بأيْده وجئنا بوهن بعد ما خَرِفَ الدهر

كرره فقال :

كأنما الخير ماء كان واردَه أهلُ العصور فما أبقوا سوى العَكَر

وقوله :

وكل يريد العَيْش والعيش حتفه ويستعذب اللذات وهى سِمامُ

---

(١) الشعر : جمع شعير .

(٢) الهدان : الضعيف الجبان .

كرره فقال :

تود البقاء النفسُ من خيفة الرّدى وطول بقاء المرء سَمٌّ مُجَرَّبُ

* * *

وقوله :

وافقتهم فى اختلاف من زمانكم والبدر فى الوَهْنِ مثل البدر فى السَّحَرِ

كرره فقال :

وما البدر إلا واحد غير أنه يغيب ويأتى بالضياء المجدَّد

فلا تحسب الأقمار خلقاً كثيرة فجملتها من نيّر متردد

* * *

وقوله فى رثاء أمه :

مضت وقد اكتهلتُ فخلت أنّى رضيع ما بلغتُ مَدَى الفِطام

وكرره فى رثائها أيضاً فقال :

دعا الله أمَّا ليت أنّى أمامَها دُعِيتُ ولو أنَّ الهواجر آصال

مضت وكأنى مُرْضَعٌ وقد ارتقت بى السِّنُّ حتى شكل فُوْدَىَّ أشكالُ

فصل فى سرقاته

هذا باب لم أقف عليه مجموعا ، فيسهل علىّ تناوله ، واستيفاء الكلام فيه ؛ وإنما أذكر منه ما اتفق لى العثور عليه فى كتب الأدب عند كتابة هذه النبذة ، أو استخرجه الخاطر الكليل أثناء مطالعة ديوانه . وأبدأ بمآخذه من أبى تمام والبحترى وأبى الطيب المتنبى ، ثم أذكر مآخذه من غيرهم من غير ترتيب .

فمن ذلك قول أبى تمام :

والحظّ يُعطاه غيرُ طالبه ويُحْرِزُ الدرّ غيرُ مجتلبه

تلك بنات المخاض راتعة والعَوْدُ فى كوره وفى قتبِه

أخذه أبو العلاء واحرجه فى بيت واحد فقال :

هو الحظّ عَيْرُ الوحش يستاف أنفُه خُزَامى وأنف العَوْد بالعُود يُخزم

* * *

وقال أبو تمام :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحـــلام

أخذه أبو العلاء وزاد عليه ، فقال :

فأَضْحَوْا حديثا كالمنام وما انقضى فسيّان منه يقظة ومنـــام

* * *

وقال أبو عبادة البحترى :

أخجلتنى بندى يديك فسوّدت ما بيننا تلك اليـــد البيضاء

وقطعتنى بالوصل حتى إننى متخوّف ألا يكون لقاء

أخذها أبو العلاء وضمن معناها فى صدر بيته ، فقال وأجاد :

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم والعذب يهجر للإفراط فى الخَصَرِ

وهذا البيت من معجزاته ، إلا أنه أورده فى غزل القصيدة ، وكان مديحها أولى به .

* * *

وقال البحترى :

نشوان يطرب للسؤال كأنما غنّاه مالك طَيِّئ أو مَعْبَد

أخذه أبو العلاء وزاد فيه زيادة لا تخفى على الأديب ، فقال :

فما ناح قمرىّ ولاهبّ عاصف من الريح إلا خاله صوت سائل

فالبحترى جعل ممدوحه يطرب لصوت السائل ، طرب المنتشى من المغنّى المجيد ، وأبو العلاء جعله كلما سمع صوتا من تطريب حمام ، أو إزعاج أرواح ؛ خاله صوت سائل ، لمزيد اعتنائه بالسؤال ، وولعه بالنوال .

* * *

وقال أبو الطيب المتنبى فى وصف فرس :

وأصرع أىَّ الوحش قمّيتُه به وأنزل عنه مثلَه حين أركب

أخذه أبو العلاء فقال :

أصيل الجَدّ سابقُهُ تراه على الأَيْنِ المكرّر مستريحا

* * *

وقال أبو الطيب :

يقولون تأثير الكواكب فى الورى فما باله تأثيره فى الكواكب

أخذه أبو العلاء ، فقال :

من قال إنّ النيّرات عوامل فبِضِدِّ ذلك فى علاك يقول

يعملن فيما دونهن بزعمه ولهن دونك مطلع وأفول

قال شارحه أبو يعقوب النحوى : وقول أبى العلاء أرفع ؛ لأنه جعل الممدوح فوق النجوم . انتهى .

وأقول أنا : إن أبا العلاء إنما شرح المعنى ووضّحه ، فبيّن أن علة عدم تأثير الكواكب فى ممدوحه علوّه عنها ، وهذا مستفاد من قول المتنبى :

* فما باله تأثيره فى الكواكب *

لأن المؤثِّر فى العادة أعلى وأقوى من المؤثَّر فيه ، ففيه معنى بيتى المعرى وزيادة .

* * *

وقال أبو الطيب :

نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لا بُدَّ من شربه

أخذه أبو العلاء فقال :

ما رغبـــة الحىّ بأبنائه عمّا جنى الموت على جَدِّهِ

* * *

وقال أبو الطيب :

وأنا الذى اجتلب المنيّةَ طرفُه فَمَنِ المطالبُ والقتيلُ القاتلُ

أخذه أبو العلاء فقال :

وآفة العاشق فى طرفه وآفة الصارم من حدّه

وكلا البيتين فيه زيادة عن الآخر لاتخفى .

* * *

وقال أبو الطيب :

تمر بك الأبطال كلْمَى هزيمةً ووجهُك وضّاح وثغرك باسمُ

أخذه أبو العلاء ، فقال :

يتهللون طلاقةً وكلومهم ينهلُّ منهنّ النجيعُ الأحمرُ

وبيته أبلغ فى المدح ، لأنّ غاية المتنبى أن وصف ممدوحه بتهلله عند هزيمة جيشه ، احتقاراً للأخطار . والمعرى جعل ممدوحيه يتهللون وهم مصابون يقطر منهم الدم .

* * *

وقال أبو الطيب :

يموت راعى الضأن فى جهله ... ميتة جالينوسَ فى طبه

وربما زاد على عمره ... وزاد فى الأمن على سربه

أخذه أبو العلاء ، فقال :

رددت إلى مليك الخلق أمرى ... فلم أسأل متى يقع الكسوف

فكم سلم الجهول من المنايا ... وعُوجل بالحِمَامِ الفيلسوف

* * *

وقال أبو الطيب :

فى رتبة حَجَب الورى عن نيلها ... وعلا فسمَّوْهُ عَلِيَّ الحاجبا

أخذه أبو العلاء فقال :

وقد سمّاه سيّده عليًّا ... وذلك من علو القدر فَالُ

وفى بيت المتنبى زيادة ساعد عليها لقب ممدوحه .

* * *

وقال أبو الطيب أيضاً :

أتى الزمانَ بنوه فى شبيبته ... فسرّهم وأتيناه على الهَرَم

أخذه أبو العلاء فقال :

تمتع أبكار الزمان بأَيْدِهِ[1] ... وجئنا بوهن بعد ما خَرِفَ الدهر

* * *

(١) الأيد : القوة .

وقال أبو الطيب :

وقد يتقارب الوصفان جدا ... وموصوفاهما متباعدان

أخذه أبو العلاء ، فقال :

قد يبعد الشيء من شيء يشابهه ... إن السماء نظير الماء في الزرق

* * *

وقال أبو الطيب :

وإذا حفيت عن لحيّ فعاثر ... لم ترثني منه عيناه

أخذه أبو العلاء فقال :

وكم عين تؤمل أن ترانى ... وتفقد عند رؤيتي السوادا

يريد : إذا رأتني حفيت عيناها ، فكأنها عميت ، وفقدت سوادها .

* * *

وقال عُمارة بن عقيل :

وما النفس إلا نُطْفَةٌ[1] في قَرَارَةٍ ... إذا لم تُكَدَّر كان صفواً غديرها

أخذه أبو العلاء فقال :

والخلّ كالماء يبدى لى ضمائره ... مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

* * *

وقال النابغة الذبياني في النعمان :

وإنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

أخذه أبو العلاء ، فقال في قصر نزلته عروس تمدوحه ، فخرج من كان فيه من حاشيته :

---

(١) النطفة بالضم : الماء الصافي قل أو كثر .

كان كالأفق حين همّت به الشمـ ـس تنادت نجومه بالمسير

* * *

وقال عَدِيّ بن الرعلاء :

ليس مَنْ مَات فاستراح بمَيْتٍ إنما الميْتُ ميّت الأحيـاء

أَلَمّ به أبو العلاء فقال :

سالمُ أعدائك مُسْتَسْلِمُ والعيش موت لهم مُرْغِمُ

* * *

وقالت ليلى أخت الوليد بن طريف ترثيه :

أيا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريف

أخذه أبو العلاء وتصرف فيه ، فقال :

وما كنت أدرى أن مثلك يَشْتَكى ولم يتغيّر للرياح نسـيم

* * *

وقال عبيد بن الأبرص يصف السحاب :

كأنّ أقرابه لما علا شطِبًا[1] أقراب أبلقَ يبغى الخيل رمّاح

أخذه أبو العلاء فقال :

سَرَتْ لها ترمح أفلاءها فى الجوّ بُلْقٌ عربيات

ذكروا أنهم يصفون السحاب بالبَلَق ، لما فيها من لَمْع البروق ؛ وهو قول حسن . والأقرب عندى أنهم يصفونها بذلك ، لأن فيها ما هو رقيق ، وما هو كثيف ، وما هو متقطع ؛ فيخيل لناظرها أنها بلقاء .

* * *

(١) الأقراب : جمع قرب بالضم أو بضمتين ، وهو الخاصرة . وشطب : جبل معروف .

وقال الحطيئة :

يرى البُخْلَ لا يُبقى على المرء مَالَه ويعلم أن المرءَ غيرُ مخلّد

أخذه أبو العلاء فقال :

إذا أُوتيت مالاً فابذلنّه فما يُبقيه توفير وخَزْنُ

* * *

وقال الأفوه الأودى :

وقدور كالرُّبا راكدةٌ وجِفَانٌ كالجوابى مُتْرَعَهْ

أغار عليه أبو العلاء فقال :

وقدورهم مثل الهِضَاب رواكداً وجفانهم كرحيبة الأَفْيَافِ[1]

* * *

وقال كثيّر عزّة :

وكنت كذات الظَّلْع لما تحاملت على ظلعها بعد العثار استقلّت

أخذه أبو العلاء فقال :

أودعكم يا أهل بغداد والحشا على زفرات ما يَنِينَ من اللذع

وَدَاعَ ضَنِ[2] لم يستقلّ وإنما تحامل من بعد العثار على ظَلْعِ

* * *

وقال امرؤ القيس :

وقد أغتدى والطير فى وُكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

أخذه أبو العلاء ، وغلا بأن جعله قيداً للريح ، فقال :

---

(١) الأفياف : جمع فيف ، وهى البرية الواسعة .

(٢) ضنى كرضى ، فهو ضنى وضن : مريض .

وخيلًا لو جرت والريحَ شأْوًا ظننا الريحَ أوثقها إسارُ

* * *

وقال أبو فراس الحمدانى :

ونحن أناس لا توسّط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

أخذه أبو العلاء ، فقال :

وأصْبِحْ واحد الرجلين إمّا مليكا فى المعاشر أو أبِيلَا

* * *

ل بديع الزمان الهمذانى :

وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا لو كان طلق المحيّا يمطر الذهبا

والدهر لو لم يَخُنْ والشمس لو نطقت والليث لو لم يُصَد والبحر لو عذبا

أخذ أبو العلاء نصف شطر منه ، وقصر أىّ تقصير ، فقال :

إذا قيل بحر فهو ملح مكدّر وأنت نمير الجود عذب الشمائل

* * *

وقال أبو حيّة النميرى :

ولمّا أبتْ إلّا التواء بودّها وتكديرها الشرب الذى كان صافيا

شربنا برنق[1] من هواها مكدّر وكيف يعاف الرنق من كان صاديا

والبيتان فى غاية الحسن ، إلا أن أبا العلاء ضمن معناهما فى بيت ، فقال :

ولما أن تجهمنى مرادى جريت مع الزمان كما أرادا

* * *

وقال أبو الشيص :

أجد الملامة فى هواكِ لذيذة طمعاً لذكرك ، فليلمنى اللوّم

---

(١) الرنق والرنق : الكدر .

أخذه أبو العلاء فقال :

لم يبق غير العذل من أسبابهم فأحبُّ من يدنو إليَّ عذول

* * *

وقال أبو الشمقمق فى حَرّاقة[1] طاهر بن الحسين :

عجبت لحراقة ابن الحســـــين كيف تعوم ولا تغرق
وبحران من تحتها واحـد وآخر من فوقها مطبق
وأعجب من ذاك عيدانها وقد مَسَّها كيف لا تورق

أخذ أبو العلاء البيت الثالث ، وزاد فيه بأن بيّن علّة عدم إيراق العود. حسن التعليل ، فقال :

مِن كلّ مَنْ لولا تسعّر بأسه لاخضرّ فى يمنى يديه الأسْمَرُ

* * *

وقال آخر فى الحمام ، وينسب للمنازى :

شجى قلب الخلىّ فقيل غنّى وبرّح بالشجى فقيل ناحا

قصّر أبو العلاء فى أخذه فقال :

فقلت تغنَّ كيف شئتِ فإنما غِناؤُكِ عندى يا حمامة إعْوَالُ

* * *

وقالت وَلّادَةُ بنت المستكفى :

ترقّبْ إذا جَنّ الظلام زيارتى فإنى رأيت الليل أكتَمَ للسِرِّ
وبى منك ما لو كان بالشمس لم تَلُحْ وبالبدر لم يَطْلُعْ وبالنجم لم يَسْرِ

وقال أبو العلاء :

منك الصدود ومنّى بالصدود رضا مَنْ ذا علىّ بهذا فى هواك قضى

---

(١) الحراقة : سفينة فيها مرامى نيران ، يرمى بها العدو .

بى منك ما لوغدا بالشمس ماطلعت من الكآبة أو بالبرق ما وَمَضَا

ولم أدر أيهما أخذ من الآخر ، لاجتماعهما فى عصر واحد . ولا يبعد أن يكون من التوارد ، إلا أن قول ولادة أبلغ !

* * *

أما قول أبى العلاء :

منى إليك مع الرياح تحية مشفوعة ومع الوميض رسول

فلا يعد من السرقة فى شىء ، وإن سبقه غيره إليه ؛ لأن إرسال التحية مع النسيم أو البرق من المعانى الشائعة التى تداولتها الشعراء ، ولم تزل تتداولها . وإنما يظهر التفاضل بينهم فيها بحسن سبكها و إبرازها فى اللفظ المقبول ، والتلطف فى تصويرها . ولهذا تركت التنبيه عما وقع فى شعره منها ، كما أنى لم أتعرض لما خفى ودقّ من سرقاته ؛ لئلا يمر ناظر عليه من غير تثبت فينكره ، ويرمينى بالخطأ أو التحامل .

* * *

واعلم أن ما ذكرناه عن المعرى فى هذا الباب قلما يخلو منه شاعر قديم أو حديث ، ولسنا بواصلين فيه إلى حد الجزم بأنه تعمد سرقته ؛ إذ قد يَعْرِضُ المعنى للشاعر فينظمه ، ولا يمر بخاطره وقت نظمه أنه مسبوق به ، وربما كان مما لم يقف عليه فى شعر غيره . وباب التوارد واسع ، كما وقع لطَرَفَة بن العبد وامرئ القيس فى قوله :

وُقُوفاً بها صَحْبِى عَلَىَّ مَطِيَّهُمْ يقولون لا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ

فأتى به طرفة فى معلقته مغيِّراً لقافيته فقط ، فقال : (وتَجَلَّدِ) بدل (وتجمل) ، وثبت عند الرواة أنه لم يطلع عليه قبل ذلك . وقال علىّ بن منصور الحلبى المعروف

بابن القارح[١]: « كان محمد بن وكيع متأدباً ظريفاً ، ويقول الشعر ، وعمل كتابا فى سرقات المتنبى ، وحاف عليه كثيراً . وسألنى يوما أن أخرج معه ، واسْتَصْحَبَ مُغَنِّيًا وأمره ألا يغنِّىَ إلا بشعره ، فغَنَّى :

لو كان كلّ عليل ... يزداد مثلك حُسْنَا
لكان كل صحيح ... يودّ لو كان مُضْنَى
يا أكمل الناس حسنا ... صِلْ أكمل الناس حُزْنا
غَنِيت عنى ومالى ... وجه به عنك أَغْنَى

فقلت : أتثقل عليك المؤاخذة ؟ فقال : لا . فقلت : أبياتك مسروقة ؛ الأول من قول بعضهم :

ولو كان للمريض يزيد حسنا ... كما تزداد أنت على السَّقَامِ
لَمَا عِيدَ المريضُ إذاً وعُدَّتْ ... شكايته من النِّعَمِ الجِسَامِ

والثانى من قول رؤبة :

مَسْلَمَ[٢] لا أنساك ما حَيِيتُ ... لو أَشْرَبُ السُّلْوَانَ ما سَلِيتُ
* مالى غِنًى عنك ولو غَنِيتُ[٣] *

فقال : والله ما سمعت بهذا ، فقلت : إذا كان الأمر على هذا ، فاعذر المتنبى على مثله ، ولا تبادر إلى الحَطِّ عليه ، ولا المؤاخذة له ؛ والمعانى يستدعى بعضها بعضاً . » . انتهى .

---

(١) ابن القارح هذا هو الذى أرسل برسالته المشهورة لأبى العلاء المعرى ، فأجابه عليها بالغفران .

(٢) يخاطب مسلمة بن عبد الملك .

(٣) رواية ديوان رؤبة : (ما بى غنى عنك وإن غنيت) .

ولا بد لنا قبل ختم هـذا الباب من ذكر نوع يعده كثيرون من السرقة وليس منها ، كقول الطغرائى :

وذى شَطَاط كصدر الرمح معتقل بمثله غير هَيَّابٍ ولا وَكِلِ

وقول الحريرى فى مقامته الرابعة والأربعين من قصيدة بائية :

وذا شَطَاط كصدر الرمح معتقل صادفته بمنًى يشكو من الحَدَبِ

قال الصفدى : « ومثل هذا لا يعد سرقة ؛ لأن المعنى ليس ببديع ، ولا لفظه بفظيع[1] ، ولا الطغرائى بعاجز عن الإتيان بمثله ، بل جرى على لسانه ، ونسى أن هـذا لِغيْرِه ؛ لعدم الاحتفال بأمره إذ هو ليس بأمر كبير ، وهذا كثير الوقوع للناس ، لا يكاد يسلم النحول منه . » . انتهى كلامه .

وقال التنوخى فى زهر الربيع : « ومما يعد سرقة وليس بها ، اشتراك اللفظ المتعارف ، كقول عنترة :

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيل عليها الأسد تهتصر اهتصارا

وقالت الخنساء :

وخيل قد دلفت لها بخيل فدارت بين كبشيها رحاها »

انتهى .

قلت : وتحقيق المقام أن الكلام المأخوذ يشترط فيه ألا يكون ذا معنى كبير أو لفظ بالغ حدًّا ما من الرشاقة ، فإذا أدمجه الشاعر فى بيته جاء به غير مقصود لذاته ، بل يجعله كالتوطئة لمعنى آخر مقصود له ، يبنى البيت عليه . ويظهر لك ذلك فيما استشهد به الصفدى والتنوخى ، وهو كثير فى شعر العرب والمُحْدَثِينَ ، وقد وقفت منه على جملة صالحة ، لو جمعت لجاءت رسالة لطيفة ، كقول الراعى النُّمَيْرِى :

---

(١) أى عظيم .

فتى يشترى حسن الثناء بماله إذا ما اشترى الخزاة بالمجد بيهس

وهو مثل قول الأبيرد :

فتى يشترى حسن الثناء بماله إذا السنة الشهباء[1] أعوزها القَطْرُ

وتبعهما أبو نواس فقال :

فتى يشترى حسن الثناء بماله ويعلم أن الدائرات تدور

وقول دريد بن الصِّمَّة :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

وهو مثل قول المتلمس :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى ولا أمر للمعْصِىّ إلّا مُضَيَّعُ

وفى هذا القدر كفاية . والكلام فى السرقات الشعرية وأنواعها ، واستيعاب ما قيل فيها ، لا يتسع له مثل هذا المختصر ؛ فإذا مَنّ الله بتوفيقه ، وكان فى العمر مُهلة ، وضعنا فيها رسالة تستقل بجمع شتاتها ، وتفصيل ما أجمل منها .

ومن غريب ما وقفت عليه من ملاحظاتهم ، ما رواه علىّ بن العباس النوبختى ، قال : قال لى البحترى : أتدرى من أين أخذ الحسن[2] قوله :

ولم أدر مَنْ هم غير ما شهدت به بشرقىّ ساباط الديار البعابس

قلت : لا ، فقال : من قول أبى خراش :

ولم أدر مَنْ ألقى عليه رداءهُ ولكنه قد سُلّ عن ماجدٍ مَحْضِ

فقلت : المعنى يختلف ، فقال : إنا نرى حذو الكلام واحداً وإن اختلف المعنى . انتهى .

---

(١) السنة الشهباء : الكثيرة الثلج الجدبة ، والشهباء أمثل من البيضاء ، والحمراء أشد من البيضاء . وسنة غبراء : لا مطر فيها .

(٢) الحسن هو أبو نواس .

قلت : إذا كان مراد البحترى مجرد البيان ، فقد لاحظ ملاحظة دقيقة ، وإذا كان قصده الحط من أبى نواس والنعى عليه ، فقـد لعمرى ركب متن عشواء ، وتخبط فى ظلماء ؛ فإن احتذاء كلام العرب مطلوب فى البلاغة ، وما حث العلماء على إكثار النظر فى أشـعارها واستظهارها إلا توصلا إلى ذلك . ولولا محاولتـه ما صبرنا على الغدائر المستشزرات ، والقنو المتعثكل ؛ بل لو لم يصقل البحترى شعره بتلك المَسْحَة العربية ، ما كانت له الديباجة الغريبة التى انفرد بها بين معاصريه ، وبَذَّ بها أهل طبقته . والله أعلم .

فصل فى مآخذ الشعراء من شعره

القول فى هذا الباب كالقول فى سابقه ؛ فلهذا نقتصر على ذكر ما حضر منه ، دون استيعاب سائره . فمنه قول أبى العلاء :

لا تطلبن بآلة لك رفعة ... قلم البليغ بغير حظ مِغْزَلُ

سكن السما كان السماء كلاهما ... هذا له رمح وهـذا أعزل

أخذه أبو إسحق الغزى ، فقال :

والحسن والقبح قد تحويهما صفة ... شان البياض وزان الشيب والشنبا

ظُبَا المُخَارَفِ[1] أقلام مكسّرة ... رءوسهن وأقلام السعيد ظُبَا

* * *

وقال أبو العلاء يصف خيلا :

ولما لم يسابقن شيء ... من الحيوان سابقن الظلالا

أخذه ابن حمديس فقال وأجاد :

ويكاد يخرج سرعة من ظله ... لو كان يرغب فى فراق رفيق

* * *

وقال أبو العلاء :

إذا اشتاقت الخيل المناهل أعرضت ... عن المـــاء فاشتاقت إليها المناهل

أخذه الطغرائى فقال :

ونفس بأعقاب الأمور بصيرة ... فما من طِلاع الغيب حاد وقائد

وتأنف أن يشفى الزلال غليلها ... إذا هى لم تشتق إليها الموارد

* * *

---

(١) يقال رجل مخارف بالمعجمة ومحارف بالمهملة وبفتح الراء فيهما ، أى محدود ممنوع .

وقال أبو العلاء :

وما ازدهيت وأثواب الصبا جُدُدٌ فكيف أزْهَى بثوب من صباً خَلَقِ

أخذه الطغرائى أيضاً فقال :

لم أرتض العيش والأيام مقبلة فكيف أرضى وقد ولّت على عجَلِ

* * *

وقال أبو العلاء :

وافقتَهم فى اختلاف من زمانكم والبدر فى الوَهْنِ مثلُ البدر فى السحر

أخذه الطغرائى فقال :

مجدى أخيراً ومجدى أولا شَرَعٌ والشمس راد الضحى كالشمس فى الطَّفَل

قال الصفدى : ولكن قول المعرّى ألطف عبارة ، وأحسن شارة و إشارة ؛ لأن الطغرائى أغرب فى لفظتى رأد والطفل ، وعذوبة الألفاظ أمر مهم فى البلاغة . انتهى . وقد ناقشه بدر الدين الدماميني فى « نزول الغيث » بما لا يخلو إيراده من فائدة ، ونص عبارته : « أقول : الإغراب فى اللفظ ، هو الإتيان به غريباً ، وقد نص بعض الأئمة على أن الغرابة كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ، ولا مأنوسة الاستعمال ؛ فمنه ما يحتاج فى معرفته إلى أن ينقر و يبحث عنه فى كتب اللغة المبسوطة ، ثم الغريب منه حسن ، وهو الذى لا يعاب استعماله عند العرب ؛ لأنه لم يكن وحشيا عندهم ، مثل اشمَخَرّ واقمطرّ ، ومنه قبيح يعاب استعماله مطلقاً ، ويسمى الوحشى الغليظ ؛ وهو أن يكون ، مع كونه غريب الاستعمال ، ثقيلا على السمع ، كريها فى الذوق ، ويسمى المتوعر أيضاً ، مثل اطلخم الأمر . وعلى كل تقدير فلا نسلم أن رأد والطفل من الغرابة فى شىء ، كما ادعاه الصفدى . وفى قوله : وعذوبة الألفاظ أمر مهم فى البلاغة ، قرينة دالة على أنه أراد أن الرأد والطفل من الغريب المستكره فى الذوق ؛ المسمى بالمتوعر ؛ وظاهر أن ذلك خطأ نشأ من سوء الذوق ،

وعدم المعرفة بكلام القوم ، والإعراض عن التدبر لاصطلاحهم » . انتهى كلامه .

* * *

وقال أبو العلاء :

وأغدو ولو أن الصباح صوارم وأسرى ولو أن الظلام جحافل

أخذه عفيف الدين التلمسانى فقال :

أسير ولو أن الصباح مواكب وأسرى ولو ان الظلام قتام

* * *

وقال أبو العلاء فى سيف :

ودبّت فوقه حُمر المنـــايا ولكن بعد ما مُسخت غيالا

أخذه الوزير أبو محمد عبد الغفور فقال :

تريه المنايا الحمر فيه وجوهنا مماثلة الأرواح فى خِلقة الذرّ

* * *

وقال أبو العلاء :

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

أخذه التهامى فقال :

لم أُخْفَ إلا للعلوّ وإنما تُخطِى الشُّهَا لعلوه الأبصارُ

* * *

وقال أبو العلاء :

وفضل الشمس فى الأيام باق وإن مدّت من الكبر اللُّعَابَا

أخذه ابن سناء الملك ، فقال من قصيدة يهجو بها الشمس :

أنت عجوز لِمْ تبرجتِ لى وقد بدا منك لعاب يسيل

* * *

وقال أبو العلاء :

خفف الوطء ما أظن أديم الأ رض إلا من هذه الأجساد

أخذه مهيار الديلمى فقال :

رويدا بأخفاف المطى فإنما تداس جباه فى الثرى وخدود

* * *

وقال أبو العلاء فأجاد :

الموقدون بنجد نار بادية لا يَحْضُرُونَ وفقد العزّ فى الحَضَر

إذا هَمَى القَطْرُ شبتها عبيدهم تحت الغمائم للسارين بالقُطُر

أى إذا أطفأ المطر نارهم شبتها عبيدهم بالقُطْرِ ، وهو العود ليهتدى السارى برائحته . قال الصفدى : وعليه اعتمد ابن عباد فى قوله ، على أنه ما فارق المغنى ، ولا خالف المعنى ؛ وهو :

المكثيرين من الكِباء[1] بنارهم لا يوقدون بغيره للسارى

* * *

وقال أبو العلاء :

سألن فقلت مقصدنا سعيد فكان اسم الأمير لهن فالا

أخذه عصريّنا سليم رحمى بك رحمه الله ، فقال فى محمد شريف باشا وزير مصر :

يقول القوم مطلبكم عزيز فقلت نعم ومقصدنا شريف

* * *

وقال أبو العلاء :

تحية كسرى فى السناء وتُبَّع لربعك لا أرضى تحية أَرْبُع

أخذه أحمد شوقى بك ، فقال فى مدح السلطان عبد الحميد :

سلام الله لا أرضى سلامى فكل تحية دون المقام

---

(١) الكباء ككساء : عود البخور ، أو ضرب منه .

فصل فى مقارنة بعض معانيه بمعانى غيره

قال أبو العلاء :

جهلٌ بمثلك أن يزور بلادنا ... يختال بين أساور وخلاخل

أو ما رأيت الليل يلقى شهبه ... حتى يجاوزها بحلة عاطل

وقال الوزير ابن زيدون :

قعيدك أنّى زرت نورك واضح ... وعطرك نمّام وحَليك مرجف

هبيك اعترت[1] الحى واشيك هاجع ... وفرعك غربيب وليلك أغضف[2]

فكيف اعتسفت الهول خطوك مدمج ... وردفك رجراج وخصرك مُخْطَفُ[3]

أقول : مدار المعنى فى الشعرين على التعجب من مخاطرة هذه المعشوقة فى زيارة صاحبها . فتناوله كلا الشاعرين ، وتلاعب به ، فأبرزه فى الصورة التى شاء له اقتداره إبرازه فيها ؛ وقد أجاد كل منهما فيما حاوله ، وتساويا فى الإحسان ، فلا أرى للترجيح مدخلا بينهما . ويلوح لى أن كليهما اعتمد فى توليد معناه على قول أبى الطيب :

قلق المليحة وهى مسك هتكها ... ومسيرها بالليل وهى ذُكاء

ولا يظهر ما قلته إلا بزيادة التدقيق ، وإطالة التأمل .

* * *

وقال أبو العلاء :

آلَى أميرك لا يسرى الخيال لنا ... إذا هجمنا فقد أسرى وما عَلِمَا

وكم تَمَنَّتْ رجال فيك مُغْضَبَةٌ ... أن يبصروه فلم يظهر لهم سَقَمَا

---

(١) المتر : الزائر .

(٢) الأغضف : المظلم .

(٣) المخطف : المنطوى .

وقال مانى الموسوس وقد سأله محمد بن طاهر إجازة قول الشاعر :

حجبوها عن الرياح لأنى ... قلت ياريح بلّغيها السلاما
لو رضوا بالحجاب كان ولكن ... منعوها يوم الرّياح الكلاما

فقال :

فتنفست ثم قلت لطيفى ... وَيْك لو زرت طيفها إلماما
حَيِّها بالسلام سرًّا وإلا ... منعوها لشقوتى أن تناما

أقول : خلاصة المعنى المبالغة فى الحجر عليها . فادعى أبو العلاء أن ولىّ أمرها بالغ فى حجبها ، حتى حلف على خيالها ألا يزور حبيبها ، ولكن الخيال غافله وزاره ، ولضناه فى حبه نحل ، فخفى على مَنْ يترصد رؤيته . وقصّر مانى فلم تصل يده إلى الخيال . و بيتاه على ما فيهما من حسن التخيل وعذوبة الألفاظ ينحطان عن بيتى أبى العلاء .

* * *

وقال أبو العلاء :

ذكرت بها قِطْعاً من الليل وافياً ... مضى كمضىّ السهم أقْصَرَ من قِطْعِ

وقال آخر :

ظللنا عند دار أبى نعيم ... بيوم مثل سالفة الذباب

وقال آخر :

ويوم كإبهام القطاة مزيّن ... إلىّ صباه غالب لِىَ باطله

فأبو العلاء شبه الليل فى قصره بالقِطْع ، وهو النصل الصغير . والثانى شبه يومه فى قصره بعنق الذباب . والثالث شبهه بإبهام القطاة . قال أبو يعقوب النحوى : وهذا أشد مبالغة من قول أبى العلاء ، إلا أنه أغرب فى الصنعة ، من حيث إنه ذكر قطع الليل وقطع السهم ، جاعلا مضى الليل كمضى السهم . اهـ .